مجلة السياحة والآثار، م٢٩، ع١، ص ص ١ - ٢٣، جامعة الملك سعود، الرياض(٢٠١٧م/ ١٤٣٨هـ).

الحُليّ المصوَّرة في الفنونِ الصخريـةِ والرسومِ الجدارية بالمملكة العربية السعودية
(نماذج مختارة من فنون ما قبل الإسلام)

أ. محمود عبد الباسط عطيه السيد(*)

ملخـص البحـث: يتنـاول البحـث الحـلي بأنواعهـا المختلفـة، والمصـورة في الفنـون الصخرية والرسـوم الجداريـة، المكتشـفة بالمملكة العربيـة السـعودية، والتـي تعـود إلى فـترة ما قبـل الإسـلام. ويناقش البحـث المعلومات التـي يمكن الاسـتفادة منها في زيـادة الجانب المعـرفي عـن بعـض أنماط الحيـاة العامة لسـكان المنطقة موضـوع الدراسـة؛ متمثلة في الأوضـاع الاقتصاديـة والاجتماعيـة وغيرها. إلى جانـب أنَّ الدراسـة تمثّـل محاولـة للتعرف عـلى كيفية اهتمام الإنسـان القديـم بزينته الشـخصية، واسـتخدامه للمواد الخـام التي وفرتها لـه الطبيعـة من تحقيق هـذا الغـرض الجمالي.

ومـن أجـل الوصـول إلى تحقيـق الهـدف المنشـود، يمكـن القـول أنَّ أفضـل منهـج لمعالجـة هـذا الموضـوع يتمثـل في المزاوجة بين المنهجـين الوصفـي، إلى جانـب المنهـج التحليـلي- المقـارن في بعـض الأحيان.

كلمات مفتاحية: الفنون الصخرية، الرسوم الجدارية، غطاء الرأس، التاج، الأحزمة، الأساور، الخلاخيل.

The Depicted Ornaments in Rock Art and Mural paintings in Saudi Arabia
(Selected samples from Pre- Islamic art)

Mahmoud Abd El-Basset Attia(*)

Abstract: This paper deals with various types of depicted pre-Islamic ornaments in Rock Art and Mural painting, discovered in Saudi Arabia. It asserts that the information obtained from the aforementioned material can be utilized to increase knowledge about general aspects of life and their patterns of the population being studied; in light of its economic and social conditions. The study attempts to discern the importance of human embellishment of past times achieved by virtue of natural raw material usage.

In order to accomplish the desired goal, the way that is most likely to succeed in the addressing of this issue is the combination of both methods, descriptive, as well as analytical- comparative method in certain cases.

Keywords: Rock Art, Murals, Headdress, Crown, Belts, Bracelets, Anklets.

(*) مدرس مساعد، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.

(*) Assistant Lecturer- Faculty of Archaeology- Cairo University
Faculty of Tourism & Archaeology - King Saud University.

مقدمة:

يحب الإنسان العناية بمظهره وجمال هيئته؛ فهو شديد الحرص على كل ما يزيد في حسنه ويؤكد جماله. وهذه الصفة مشتركة بين الذكور والإناث على حد السواء، إلَّا أنَّ المرأة بحكم وظيفتها في الحياة وبما اختصت به من حس مرهف وأنوثة جذابة كانت أكثر من الرجل حرصاً على الجمال وتوقاً إلى تأكيد ذاتها من خلاله. وكان من الطبيعي أنْ يتخذ الإنسان وسائل جذب للآخرين، وبما وُهِب من عقل، أبدع في وسائل تزينه، ومن ذلك اتخاذه الحلي. والحلي في اللغة ما يُتزَين به من مصوغ المعدنيات أو الأحجار، والحلي كل حِلْيَة حُلِّيت بها امرأة أو سيف أو نحوه، والجمع حُلي[1]. وقد ورد اللفظ في آيات عدة من القرآن الكريم وبصيغ مختلفة (مجموعة مؤلفين ٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ٣٥١، ٣٥٢).

وجدير بالذكر أنَّ الحلي كانت تستخدم زينةً للأحياء والموتى على حد السواء؛ حيث كانت تستخدم أثناء الحياة بقصد التزين والتجمل، ويبدو أنَّ استخدامها زينةً للموتى كان أمراً شائعاً كذلك؛ فكل شخص -مهما كان مركزه الاجتماعي- كان يتم تزيين جثمانه بقطع من الحلي والمجوهرات المناسبة لطبقته ومدى ثرائه، حتى بالنسبة للفقراء كان لا يخلو الأمر عند دفنهم من تزيين أجسادهم بعقد أو سوار مصنوع من بعض الخرزات الملونة المنظومة في خيط، ويُلَفّ حول رقبته أو حول ذراعه، ولعل أهم الشواهد على ذلك، هو ما تم العثور عليه من الخرز داخل المدافن. ليس هذا فحسب؛ بل كانت هناك حلي ومجوهرات أو رموزاً خاصة بالمعبودات (ألدريد، ١٩٩٠م: ٤٣، ٤٤).

وهناك مَنْ يعتقد أنَّ ارتداء البشر للحلي وأدوات الزينة هو جزء من محاولة تقليد الإنسان للآلهة من أجل أنْ يكون خالداً مثلها؛ وأنَّ أحد أشكال هذا التقليد يتمثل في ارتداء الحلي وأدوات الزينة كما ترتديها المعبودات (Almasri & others, 2012: 152). كما استخدمت الحلي زينة للتماثيل سواء كانت هذه التماثيل إلهية أو ملكية أو خاصة بأفراد.

وتُعدّ الحلي من المخلفات المادية الأثرية المهمة، ومن أكثر الوسائل التعبيرية كمالاً واتقاناً؛ لما تعكسه من تفسير وتوضيح للعديد من الجوانب الاجتماعية والعقائدية والاقتصادية والسياسية والفنية والتقنية التي سادت في الفترة التي ترجع إليها؛ حيث لم يقتصر استخدام الحلي كأدوات تجميلية للزينة فقط؛ بل حملت في طياتها توضيحاً للسلوك البشري وما حمله من ثقافات ومعتقدات دينية، وذلك بما وفرته له البيئة المحيطة به من مواد لتحقيق هذه الغايات ومعرفة مدى تأثره وتأثيره بالثقافات المجاورة له وأشكال هذا التأثير.

كما أنها حملت العديد من القيم المعنوية والمادية والجمالية التي أعطتها أهمية فنية وتاريخية (عبد اللطيف، ٢٠٠٤م: ١؛ إبراهيم، ١٩٩٤م: ٦؛ الذييب، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ١٢٨).

وتنبغي الإشارة إلى أنَّ المقصود في هذه الدراسة بكلمة حلي هو أية قطعة صُمِّمت وصُنِعت ليتزين بها الإنسان؛ حيث أنها تتضمن أنواعاً كثيرة ومتعددة تشمل زينة الرأس (تيجان وخوذات وقبعات) وزينة الجيد والصدر وزينة الأطراف وزينة الخَصْر.

ورغم تلك الأهمية الكبيرة للحليّ ودورها في إبراز العديد من جوانب الحياة، إلا أنَّ الدراسات ذات الصلة قليلة، وكان الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو إلقاءِ مزيدٍ من الضوء في محاولة لاستنطاق الفنون الصخرية

(١) لعلَّه من المفيد الإشارة إلى أنَّ استخدام الحلي ليس قاصراً على الإنسان وحده؛ فمن المألوف وحتى اليوم أنْ نرى في أعناق الحيوانات كالإبل والخيول وغيرها بعض القلائد والخرزات ونحو ذلك؛ فهي عادة منتشرة في المجتمعات حتى وقتنا الحاضر.

والجدارية سعياً وراء إماطة اللثام عن جانب هام من جوانب الحياة العامة لإنسان المنطقة خلال عصور ما قبل الإسلام؛ ممثلاً في زينة الإنسان الشخصية. علاوة على إظهار أنواع الحلي، وهل كان لجميع هذه الأنواع ظهورٌ في الأعمال الفنية موضوع الدراسة، أم لا؟

وقد قام الباحث باختيار خمس عشرة لوحة، لتكون موضوع الدراسة، وجاء اختيار هذه اللوحات من مواقع أثرية مختلفة في المملكة العربية السعودية (منطقة الدراسة) -قدر المستطاع- في محاولة للتأكيد على انتشار هذا النمط الفني في أرجاء المنطقة، وكذلك معرفة سكان المنطقة شمالاً وجنوباً بالأنواع المختلفة لأدوات الزينة والحلي. إلى جانب الإشارة إلى مواقع أخرى يوجد بها رسوماً متشابهة للوحات الدراسة.

الدراسة الوصفية:

تعد الفنون الصخرية والجدارية ضرباً من الفنون ذات الأهمية الكبيرة في دراسة التراث الحضاري، لما تقدمه من مادة علمية تساعد على كتابة التاريخ. وقد عثر في المملكة العربية السعودية على رسوم صخرية وجدارية في أماكن مختلفة، ألقت الضوء على مزيد من حضارة الإنسان القديمة (مجموعة مؤلفين ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ٣٠٧، ٣٢٥). ويكشف هذان النوعان من الفنون عن ثروة هائلة من المعلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان تلك الحقبة الزمنية من الماضي، كما أنَّهما يُعطيان تفاصيلاً مسهبة عن وقائع حياتهم اليومية ومعتقداتهم الدينية وممارساتهم الشعائرية ورقصاتهم الطقوسية، علاوة على الكثير من المعلومات عن الملابس وأدوات الزينة (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٤٣٢؛ الأنصاري وآل مريح، ٢٠٠٣م: ١٧؛ القنور، ٢٠٠٨م: ٤٥، ٤٦؛ العبد الجبار، ٢٠١٠م: ١٧٦).

١- الحُليُّ المُصوَّرةُ في الفنونِ الصخريةِ:

تُعرَف الفنون المصورة على الصخور سواء بطريقة النقر أو الحفر-عند مجيد خان- باسم «فن الرسم الصخري»، والذي يمثل تعبيراً فنياً يتركه الإنسان على أسطح الصخور، ويُعَدّ من أقدم صور الإبداع الفني لأُناسٍ لم يعرفوا الكتابة في عصور ما قبل التاريخ، عاشوا منذ آلاف السنين (Khan, 1428 H/ 2007 A.D: 13).

ويعتبر فن الرسوم الصخرية[1] من أهم عناصر دراسة عصور ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية؛ حيث تعطينا صورة مفعمة بالحيوية عن أساليب الحياة والعادات والأحوال الاجتماعية والاقتصادية للسكان. وتتطرق مواضيع هذه الفنون الصخرية إلى الجوانب الفكرية والأساليب الجماعية والذوقية للأقوام الذين قاموا بتنفيذها. وبغض النظر عن الدوافع التي أدت إلى إنتاج الفنون الصخرية في المملكة العربية السعودية فإنه يمدنا بثروة هائلة من المعلومات وينطوي على أهمية تاريخية عظيمة (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٣٠؛ الجبرين، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م: ١٥، ١٦). وقد وُجدت في معظم المواقع الأثرية بالمملكة العربية السعودية أعدادٌ كبيرةٌ من الفنون الصخرية؛ حيث اُستخدِمت واجهاتُ الكثيرِ من الصخور سجلاً، دَوَّن الإنسانُ عليها بالرسوم

(١) شاع استخدام مصطلح الرسوم الصخرية بين بعض دارسي فنون الواجهات الصخرية، وأصبحوا يطلقونه على تلك الأعمال الفنية التي تركها الأقدمون على صخور الجبال، في محاولة منهم للتمييز بينها وبين الكتابات المدونة على تلك الصخور كذلك، والتي أطلقوا عليها لفظ النقوش الصخرية. وهو أمر قد يجانبه الصواب، والسبب في ذلك أنَّ مصطلح الرسوم لا يشمل كل أنواع الفنون الصخرية، ولا صور الكهوف الملونة؛ لذا سوف يستخدم الباحث مصطلح الفنون الصخرية بديلاً عن الرسوم الصخرية؛ لأنه أشمل وأدق، فليست كل الفنون الصخرية رسوماً، وإنما أقلها رسوم، وأكثرها نحت غائر أو بارز أو محزوز.

والصور العديد من نشاطاته، وحفر ورسم على جدران كهوفه ومنازله وبأدواته البدائية مناظر عديدة تمثل صوراً من حياته اليومية. وهى بذلك تعد رافداً مهماً لدراسة أحوال سكان تلك الفترة ونشاطاتهم.

وينبغي الإشارة إلى أنَّ الأشكال الآدمية المرسومة بسمات جسمانية واقعية، تعتبر قليلة جداً في الرسوم الصخرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ؛ بل ولم ترسم بالحجم الطبيعي في أي عصر من العصور غير العصر الحجري الحديث (٧٠٠٠- ٥٠٠٠ق.م)، وهي قاصرة على بعض المواقع المحدودة في جبة والحناكية وبئر حمى؛ حيث تتميز بالتفاصيل الكاملة للأجسام ما عدا الوجوه التي هي في العادة باهتة وغير واضحة (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ١١٥، ١١٦، ١٦١). والحجم الطبيعي لا شكَّ أنَّه سمة فنية أتاحت للفنان القديم إظهار تفاصيل كثيرة، من ضمنها الملابس وبعض أدوات الزينة (العبد الجبار والقنور، ٢٠١٣م: ٢٠).

وخلال المرحلة الثانية للمسح الشامل للنقوش والفنون الصخرية في المنطقة الشمالية (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، تمَّ تسجيل مجموعة كبيرة من الرسوم البشرية التي وُضِع على رؤوسها غطاء بشكل المشط؛ حيث تشتمل إحدى اللوحات من الموقع (٢٠١- ٧٨ بالجوف) على صف من الأشكال البشرية المرسومة بالأسلوب التخطيطي وعلى رؤوسها أغطية أو أشياء بشكل المشط (لوحة ١)، ويبدو كما لو أنهم يحملون أغصانَ أشجارٍ على رؤوسهم. ويُؤرخ هذا النمط الفني بالعصر الحجري النحاسي (٣٥٠٠- ٢٥٠٠ق.م) (الكباوي وآخرون، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ١٠١، ١٠٤، ١٠٧؛ Abdul Nayeem, 2000: 198- 201).

وعُثر أيضاً على أشكال بشرية في الموقع (٢٠١- ٨٠) حول رؤوسها خطوط نصف دائرية. كما عُثر على شكلين من الأشكال البشرية في الموقع (٢٠١- ٤٦) شمال غرب سكاكا؛ وهم بثياب وخوذات رومانية، وهما يشبهان تلك الأشكال الموجودة بأعداد كبيرة في فالكامونيكا (Valcamonica valley) في إيطاليا، وتمثل أشكالاً بشرية ترتدي ثياباً طويلة مستطيلة الشكل من العصور الوسطى، ونماذج أخرى مشابهة تم العثور عليها في موقع هام بالقرب من منطقة قريّة؛ حيث تظهر رسومات آدمية بملابس وخوذات رومانية. والخوذات من أغطية الرأس التي تستخدم بغرض وظيفي، يتمثل في حماية الرأس.

وتشير الأشكال البشرية بالنمط الروماني وكذلك النقوش النبطية بالمنطقة إلى التأثير النبطي على الحضارة التي كانت قائمة في هذه المنطقة، كما أنَّ هذا يشير بوضوح إلى أنَّ الفنون الصخرية كانت تُمارس حتى وقت متأخر من الفترة الرومانية البيزنطية (الكباوي وآخرون، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ١٠٤، ١٠٥، لوحات٨٦، ٨٧؛ الخليفة وآخرون، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م: ١٠١، اللوحات ٧٤- ٧٦؛ Livingstone, *etal* 1405 A.H\ 1985 A.D: 134). أشار «مجيد خان» إلى قيامه بتسجيل صور متكررة بكثرة لرسوم بشرية كبيرة الحجم، خلال زيارته لمنطقة قارا، ١٠٠كم شمال شرق نجران، تظهر الرسوم الأنثوية فيها وهي تتزين بالحلي ومنها القلادات. وتظهر رسوم الأشخاص مرتدية غطاء للرأس مصنوعاً من الريش، أو أنه عبارة عن غطاء شعر مكسواً بالريش، وهناك أشخاص آخرون يلبسون على الرأس ما يشبه العمامة، وهذه الرسوم تظهر أصحابها وهم يعلقون الخناجر أو السيوف على الخصر بواسطة الأحزمة (خان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م: ٧٣- ٨١). وهي تشابه عادة -وضع الجنبية- التي لا تزال موجودة حتى وقتنا

الحالي في جنوب شبه الجزيرة العربية وفي تهامة وعسير وغيرها، في دلالة واضحة على استمرار ذلك التقليد في المجتمعات المحلية.

ففي إحدى تلك اللوحات الصخرية (لوحة ٢)، يظهر شكل بشري على رأسه قبعة قصيرة غريبة الشكل مزخرفة بخطوط رأسية متوازية يخرج من سطحها ثلاث ريشات طويلة.

وفي لوحة ثانية (لوحة ٣) تمثل مشهداً لقتال؛ حيث يظهر شكلان آدميان في حالة ركض، يحملان أسلحة ويبدو أنهما يتقاتلان، يلبسان قبعات غريبة يعلو كل منها قرن أو ربما ريشة طويلة مقوسة، وفيما يبدو أنها مزخرفة من الأمام. كما يتمنطق كل منهما في وسطه خنجراً ذو عُجْرَة هلالية (مقبضه ذو رأس هلالي الشكل). وتُؤرَّخ الفنون الصخرية لجبال قارا إلى الألف الثالث قبل الميلاد (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٨٣، ٢٨٥).

ويعتبر موقع جبة الواقع على بعد مائة كيلو متراً شمال حائل في وسط صحراء النفود، بمثابة متحف مفتوح للفنون الصخرية؛ حيث أنه أكبر موقع للفنون الصخرية في المملكة العربية السعودية. وتظهر الأشكال البشرية في رسوم ونقوش جبة الصخرية، وهي تكشف عن تفاصيل علمية دقيقة للملبس والمعدات؛ حيث يشمل الملبس لباساً مسطحاً لقمة الرأس محُلى بالشراشيب أو زخرفة صدرية مستديرة (سطحية النقش) وشرائط جوفية أفقية (محفورة)، ويتدلى من الوسط أحزمته، والأمر ذاته للنسوة حيث تظهر صدرية مزخرفة تغطي الصدر في جزئه العلوي، كما ظهرت بعض الأشكال الآدمية ولها غطاء الرأس المقوس الفريد (بار وآخرون، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م: ٥٦، ٥٧).

ويُعدّ الرسم الذي يمتد حوالى أربعة أمتار، ويبدو فيه موكب لمجموعة من الرجال بالحجم الطبيعي بأسلحتهم من أكبر رسوم الأشكال الآدمية في جبة، وقد رسمت أجسام الإناث بمنظور مستوٍ وتميزت بتسريحات الشعر والأقراط المتدلية ونادراً ما تُرسَم إناث وقد ارتدين عقوداً حول أعناقهن. ورسمت أجسام الذكور غالباً في أوضاع جانبية، وزينت بعضُها بعقود أو أحزمة حول الخصر، وظهرت اللحى في وجوه الذكور في أحيان قليلة (الأنصاري ويوسف، ٢٠٠٥م: ٤٦، ٤٨، ٥٠).

وجدير بالذكر الإشارة هنا إلى أمر هام؛ ففي الوقت الذي لم نجد فيه الأقراط في مصر القديمة قبل الأسرة الثانية عشرة [الدولة الوسطى؛ الألف الثاني قبل الميلاد] ثم أصبحت شائعة الاستعمال في الدولة الحديثة (Petrie, 1927, p. 10 ؛Ogden, 1990: 145)، فإن الفنون الصخرية في جبة (كما سبقت الإشارة)، وكذلك في موقع وادي ضم تشير إلى تزيين النساء آذانها بالأقراط (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ١٦٤- ١٦٥، ١٨١).

يظهر في اللوحة (رقم ٤) -من جبة- شكل آدمي لرجل بحجم كبير، نُفِّذ الرسمُ بأسلوب واقعي وبطريقة النقر غير المباشر مع حك وتسوية السطح، وبنسب تشريحية للجسد متناسقة إلى حد ما.

يُعرَف هذا الشكل لدى سكان المنطقة باسم «الملك»؛ حيث يرتدي ما يشبه التاج على رأسه، كما تظهر على الصدر أدوات الزينة، والتي تبدو على هيئة قلادة دائرية الشكل بداخلها دائرة أصغر منها تحيط بالعنق. ويقف أمام هذا الشخصِ شخصٌ آخر، أقل حجماً، يُزين قدميه من أسفل خلخالان دائريان فوق الكعبين.

أما اللوحة (٥) فتُمثّل رجلاً يتجاوز طوله المترين، نُفِّذ بأسلوب واقعي. يُغطي الرأسَ من الأعلى ما يشبه القبعة التي تنتهي بزوائد من أعلى ومن مقدمتها

ومؤخرتها. ويظهر في منطقة الوسط ما يشبه الزوائد المتدلية للأسفل من الجانبين، ربما أنها تمثل حزاماً طويلاً له زوائد أو أربطة تتدلى منه يُشدّ به اللباس السفلي، كما يزين القدمين خلخالان دائريان (العبد الجبار والقنور، ٢٠١٣م: ٢٠، ٢١).

ويشير «مجيد خان» إلى شكل تصويري لأنثى مرسومة بالأسلوب المتبع في فن العصر الحجري الحديث، بحجم يقارب الحجم الطبيعي (بطول حوالي ١٢٠سم) على وجه حجر يقع بمنزل بالقرب من قاع البحيرة الجافة في جبة، وتعد الوحيدة من نوعها التي تظهر بها الصفات الأنثوية مصورة بعناية، وقد صورت الأقراط والعقد والحزام الذي يحيط بالوسط ذي النقوش الجميلة، ويرى أنها صورة لإحدى المعبودات في شمال شبه الجزيرة العربية (خان، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م: ٧٩).

وفي مشهد من موقع الحناكية لتسعة رجال وكلبين، تظهر على رؤوس الرجال أغطية مظللة تشبه القبعة، وتؤرخ بالفترة ما بين ٤٠٠٠- ٢٠٠٠ق.م (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٥٥).

ومما هو جدير بالملاحظة أنَّ الرسوم النسائية نادرة جداً في الفنون الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في شمال شبه الجزيرة العربية؛ حيث تمثل -كما يرى «مجيد خان»- في وادي ضم حوالي ٧٪ فقط من إجمالي الرسوم، أما في جبة فمن بين ما مجموعه حوالي ستين رسماً كبير الحجم لأشكال آدمية واقعية، هناك فقط أربعة أشكال نسائية؛ منها شكلان فريدان (لوحة ٦) من حيث تفاصيل السمات الجسمانية والملابس والحلي؛ حيث رُسِمَت المرأتان وهما يد بيدٍ ومقترنتان بطريقة لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، فذراع إحداهما في ذراع الأخرى، وكتف إحداهما متراكب على كتف الأخرى، والصدر مُغطًّى بعناصر زخرفية عبارة عن تصميمات هندسية وخطوط متعرجة، وهناك حزام عريض وطويل ملتف حول الخصر، يتدلى إلى أسفل ليغطي الجزء الأمامي من الجسم، ومن الأشياء الأخرى التي لا تظهر في أية رسوم نسائية أخرى في المنطقة نجد قلادة وقرط للأذن (وإن أظهره تفريغ اللوحة في دراسة «مجيد خان» دون غيرها من الدراسات الأخرى) وغطاء مستدير للرأس، أما الأنثى الأخرى فتلبس أيضاً حزاماً عريضاً يتدلى إلى الأمام ومزين بتصميمات بيضاوية ودائرية ومربعة الشكل (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ١٦٤، ١٦٥، ١٨١).

وخلال أعمال المسح الأثري للمنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) تمَّ العثور على مجموعة من الفنون الصخرية على جبل عرفاء (٢١٠-١٤٣)، الذي كان قد تم اكتشافه عام ١٣٩٦هـ على بعد ٥٣كم شمال شرق الطائف، ومن بين تلك الرسوم نمطاً يرجع لمرحلة ما قبل الألف الثاني قبل الميلاد يضم رجالاً -أقل من ٤٠سم في الارتفاع- والجدير بالملاحظة أنَّ هؤلاء القوم تعلو رؤوسهم أغطيةٌ للرأس عليها ريش (زارينس وآخرون، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م: ٩، ٣٢).

كما وُجِدت -خلال أعمال المسح الأثري للمنطقة الجنوبية الغربية من المملكة وتحديداً في بئر حمى- رسومٌ لرجال ونساء بالحجم الطبيعي أو بمقاييس دون ذلك بقليل، يؤدون رقصات مختلطة لا شكَّ أنها تمثل نوعاً من الطقوس السائدة آنذاك.

وإنَّ كنا لا نملك أدلة علمية للمقارنة لتفسير ماهية تلك الطقوس، غير أنَّ ما يهمنا في هذا الصدد هو ما تظهره تلك الرسوم من حلي أبرزها فنانُ تلك المجتمعات؛ حيث يلبس أغلبها غطاءً للرأس من نوع يحمل زخارف تفصيلية متقنة، والعديد من هذه

الأشكال ذات شوارب ولحى، ومن الشائع أنَّ تكون الرقبة مزدانة بالدلايات والعقود والأطواق، كما يلبس العديد من الرجال خلاخيل في الأرجل أيضاً، كما يلبس بعضهم خنجراً أو مدية، ذات حزام من الوسط (Zarins *etal*, 1401 A.H\ 1981 A.D: 35؛ مجموعة مؤلفين ٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ٣٥٢).

وتعد منطقة عسير إحدى أهم مناطق المملكة العربية السعودية من حيث كثافة الرسوم والنقوش الصخرية، وتكثر فيها الأشكال البشرية وهي مرتدية الملابس وأغطية الرأس المتنوعة، وتظهر بعض الرسوم نساء وهن تزين صدورهن وآذانهن بالقلائد والأقراط، وعلى رؤوسهن الأغطية، وتظهر رسوم الرجال بأحزمة ومشدَّات للصدر وما يشبه البلوزات أو التنورة، وغطوا رؤوسهم بما يشبه التاج أو الخوذة، ومن أهم تلك الرسوم الآدمية؛ رسم لفارسين بالحجم الكبير على واجهة صخرة كبيرة ارتفاعها خمسة أمتار (لوحة ٧)، في هضبة بموقع الزبران[1] في بلاد بني بجاد إلى الجنوب من خيبر الجنوب بحوالي ثلاثين كلم.

يبلغ طول كل فارس ٢,٥ متراً تقريباً، وهما متماثلان في إشارة إلا أنهما لنفس الفنان، ونلاحظ أنَّ المنظر أمامي والذراع الأيمن نصف مرفوع ويحمل رمحاً، والذراع الأيسر نصف ممدود نحو الوسط ويحمل ترساً مستطيل الشكل (الخثعمي، ٢٠٠٦م: ٢٢٢، ٢٣٠؛ الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج١: ٦٥، ٧١)، وغطاء الرأس يشبه التاج أو الخوذة؛ حيث نشاهد أنه يخرج من غطاء الرأس ثلاث ريشات إلى الأعلى، كما ظهر الصدر مزيناً (بما هو أقرب إلى المستطيل أو الشكل البيضاوي، وهو عبارة عن جزء صخري تركه الفنان كما هو ولم يقم بحفره)، وإن كان حجم الزينة في الرسم ا الأيمن أكبر منه في الرسم الأيسر، وهناك تشابه كبير بين هاتين الرسمتين وبين تلك التي وجدت في كل من بلاد آل سرحان وآل يزيد، إلى درجة أنه يخيل لنا أنَّ هذه الرسوم لمبدع واحد (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٢: ٥٠).

ويوجد منظر لرجل بالحجم الطبيعي على إحدى الهضاب الصخرية بمنتزه دلغان- مدينة أبها، يظهر بتفاصيل جسمه الدقيقة، وقد بدا واقفاً في وضع أمامي، رافعاً يده اليمنى ويحمل فيها شيئاً ما ربما يكون سلاحاً، ويده اليسرى مثنية إلى الأسفل، ويرتدي فوق رأسه ما يشبه القلنسوة أو الخوذة، ويخرج منها ثلاثة أعمدة (ريشات؟) إلى الأعلى، ويظهر الرجل وهو يتمنطق بخنجر في وسطه (الخثعمي، ١٤٢٦هـ: ١٦٧) في إشارة إلى وجود حزام على خصره.

ويشير «محمد عبد النعيم» -نقلاً عن أناتي- إلى أنَّ المنطقة الواقعة بين (عنال جمال) و (صمت الندهام) تحتوي على بعض الفنون الصخرية التي تضم أشكالاً بشرية؛ من بينها شكل بشري مصور بمنظور أمامي مشوه (لوحة ٨)، يغطي رأسه فيما يظهر تاج مزخرف بصفين من الحزوز الرأسية المتوازية ويخرج من سطحه ثلاث ريشات طويلة (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٨٨، ٢٩٠).

وفي محافظة تثليث -شرق منطقة عسير- تم العثور على مجموعة من الفنون الصخرية، لعل أهمها تلك الرسوم التي ظهر فيها أحد أنواع الحلي نادرة الظهور

(١) تسمى هذه الهضبة عند بعض العامة باسم هضبة «الصبايا»، وربما أنَّ هذا الاسم نسبة إلى الرسمتين اللتين توجدان بها، غير أنَّ الرسم لفارسين وليس لإناث، وقد نشرت هاتين الرسمتين في كتاب (سلسلة «هذه بلادنا»: أبها) للشيخ هاشم النعمي، ص٦٤، وقد أشار إلى أنَّ الرسمة من هضبة العبايا بضاحية أبها. وهذا خطأ مطبعي قُصد به الصبايا، كما أنَّ الموقع ليس من ضواحي أبها كما أشار الشيخ؛ بل يبعد عن أبها بحوالي سبعين كيلاً تقريباً، وتقع في بلاد بني بجاد (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٢: ٥٠ هامش ١).

في الفنون الصخرية؛ ألا وهي الأساور أو المعاضد التي تزين الذراعين، ففي منظر لرجل وامرأة (لوحة ٩) نرى بصورة واضحة على معصمي المرأة حلقات دائرية تمثل الأساور، وفي رجليها ما يبدو أنه يمثل الخلاخيل. وقد تكرر ظهور هذين النوعين من الحلي في لوحة فنية أخرى لرجل كبير الحجم (لوحة ١٠)؛ حيث ظهر وهو يلبس خلخالين في القدمين (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٨: ٥٠، ٥١)، وكذلك يلبس على معصمه الأيسر سواراً دائرياً مصوراً كخط محفور، في حين ظهر عند منتصف الذراع اليمنى (المرفق)؛ أي قرب نقطة التقاء الساعد بالعضد خطاً تتدلى منه زخرفة زجزاجية قد تمثل ما يمكن أنْ يكون زينة للذراع (سوار أو معضد).

وجدير بالذكر الإشارة إلى أنَّ ظهور الحلي لم يكن قاصراً على الرسوم الآدمية المرسومة بسمات جسمانية واقعية؛ بل كان له ظهور كذلك في الرسوم الآدمية العودية، والتي ترجع بدورها لحقب ما قبل التاريخ المتأخرة، وتحديداً للعصر الحجري (النحاسي/ الحديدي)، ويتكون الشكل العودي من أطراف عودية خطية مرسومة بأقل جهد ممكن من الفنان؛ حيث يتم تصوير الشكل شبه الآدمي بأدنى حد من التفاصيل التي يمكن تمييزها، إلا أنَّ الفنان كان حريصاً على إبراز الأسلحة التي يحملها الشخص ولا سيما الخنجر أو السيف الذي يظهر واضحاً وهو معلق على الخصر.

كما ظهرت بعض تلك الرسوم العودية وهي ترتدي لباساً للرأس بشكل تاج، ويحتمل أنْ يكون مصنوعاً من الريش، بالإضافة إلى شرائط تزيينة أو أشرطة معلقة أسفل الذراعين الممدودين تماماً، ويبدو الجسم عارياً (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ٩٣، ٩٤، ١٩٢).

علاوة على ذلك هناك الأشكال العودية الآدمية ذوات الرؤوس -دائرية الشكل- المقنعة، وتخرج من الأقنعة عصي تشبه الرايات (لوحة ١١)، وقد اعتبر بعض الباحثين أنَّ هذه الأقنعة هي الأقنعة التي يتنكر فيها الصيادون، أو أنَّ هذه الأشكال قد تكون لراقصين مقنعين، أو أنَّها آتية من عالم العصر الحجري القديم، على أنَّ هناك مَنْ يعتقد أنَّ المقنعين الراقصين قد عُثر عليهم في مختلف مناطق العالم، وأنَّ هؤلاء المقنعين يمثلون صيادين يقومون بوضع هذه الأقنعة كشراك يخدعون بها الحيوانات التي كانوا يقومون باصطيادها.

ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّ هذه الأقنعة أو أنَّ التنكر بحد ذاته يمثل قوة سحرية روحية؛ ولهذا نجد أنَّ الإنسان استخدم القناع أو التنكر ليس في مجال الصيد فحسب؛ بل حتى في الطقوس الدينية، اعتقاداً منه أنَّ ذلك يزيدهم قوة. وإنْ كان هناك مَنْ يعارض هذه الفرضيات والتي تقول بأنَّ الأشكال الآدمية المقنعة تمثل صيادين أو سحرة مقنعين (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج١: ٦٥، ٦٨، ٧٠؛ Abdul Nayeem, 2000: 195- 197).

إلى جانب آلاف الفنون الصخرية غير الملونة، يوجد بالمملكة العربية السعودية عدد قليل جداً من المواقع الأثرية التي تحوي فنوناً صخرية رُسِمَت بطريقة التلوين، ولعل أهم تلك المواقع ما هو موجود بالمنطقة الجنوبية الغربية؛ بيشة، وخميس مشيط، وأبها، والباحة (خان، ١٤٢٨هـ: ٩٢)، فمن محافظة الباحة، موقع غار الكتب الواقع بالقرب من بلدة نيرا التي تقع إلى الغرب من مقر محافظة قلوه بحوالي ١٠كم، عثر بهذا الغار على رسوم آدمية تمثل رجالاً بالملابس التقليدية التي تظهر في لبس الجنبية كما هو معمول به حتى وقت قريب في المنطقة، وهي رسوم نُفِّذت جميعها بالمغرة الحمراء والسوداء، وتكرر الأمر ذاته في موقع غار أو كهف الهريتة[1] في جبل شدا، وهو كهف طبيعي

(١) يقع إلى الشمال الغربي من جبل شدا الأعلى، على ارتفاع

صخوره جرانيتية -قرب موقع غار الكتب سابق الذكر- وعلى جداره الداخلي وُجِدت رسومات نُفذت بطريقة هندسية بالمغرة الحمراء (لوحة ١٢) تمثل رجالاً بملابس تقليدية وخاصة الجنبية، ويؤرخ هذا النوع من الرسوم بفترة العصر البرونزي في الفترة ما بين ٣٠٠٠-١٥٠٠ق.م (الزهراني؛ وآخرون ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م: ١٠٣) ووجود عنصر السلاح ممثلاً في الجنبية أو السيف أو الخنجر يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك معرفتهم لحزام الخصر لتثبيت ذاك السلاح. إلى جانب ظهور الأحزمة بصورة واضحة دون السلاح، وقد عبَّر عنها الفنان بعدة خطوط. علاوة على ظهور زينة الخصر في الرسوم الملونة، فقد ظهرت كذلك زينة الذراعين ممثلة في الأساور المزدوجة التي تمثل على هيئة خطين متوازيين حول معصم اليد، بالإضافة كذلك إلى زينة الرقبة ممثلة في الأطواق التي أظهرها الفنان على هيئة خطوط تحيط بالعنق.

إلى جانب هذه الرسوم ظهرت أيضاً رسومٌ أخرى للأشكال الآدمية ذوات الرؤوس المقنعة (لوحة ١٣).

٢- الحُليُّ المُصوَّرة في الرسومِ الجداريةِ:

تعتبر الرسوم الجدارية أكثر تطوراً من الفنون الصخرية؛ إذ تمتاز بأسلوب خاص في تنفيذ المناظر الجدارية فضلاً عما تتسم به من استخدام الألوان. وتُعدّ قرية الفاو (القرن الثالث قبل الميلاد- القرن الثالث الميلادى) من أهم المواقع الأثرية التى زودتنا بنماذج رائعة من الفنون والرسوم الجدارية. ومن هذه الأعمال مشهد يصور شخصية مميزة (لوحة ١٤)، عُرِفت من خلال النقش باسم زكي، وهو رسم لرأس رجل ذي شعر مموج وعيون كبيرة دائرية واسعة، والشارب رفيع يظهر على شكل خطين مائلين، وعلى رأسه إكليل الغار، ويبدو أنَّه شخصية هامة، ولعلّه تتويج لملك؛ حيث يقف إلى جانبه رجلان (الأنصاري، ١٩٨٢م: ٢٥، ٧٢- ٧٤؛ صالح، ٢٠٠٥م: ٧٧؛ مجموعة مؤلفين ٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ٣٢٩) وهما يمدان ذراعيهما -وبكل منهما سوار- نحو رأسه لتتويجه، وإن اعتبرتهما «الحديثي» فتاتين تظهران بملابس فضفاضة، ومتوجتين، وافترضت كونهما تمثلان سدنة للمعبد الذي يتم فيه تتويج هذا المعبود، رغم الجدل المتداول بين الباحثين حول طبيعة الشخص المتوج؛ ملكاً كان أو معبوداً أو كاهناً، لاسيما وأنَّ طبيعة المبنى الذي تم العثور فيه على تلك اللوحة لا تزال غير مؤكدة؛ هل كان قصراً أم معبداً (الحديثي، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ، ٩٠- ٩٢؛ الذييب، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ١٠٠- ١٠٢).

وينبغي الإشارة إلى وجود جزء آخر من لوحة جدارية يماثل الرسم السابق إلى حد ما، يظهر عليه شاب متوج بإكليل مدوَّر، تحت أوراق وفروع وعناقيد العنب.

وعلى جزء من رسم جداري ملون (لوحة ١٥) يمثل مأدبة طعام أو مشهد تذكاري (القرن الأول- الثالث الميلادي) يظهر رجل يزين رأسه تاج/ إكليل من الغار موضوع على شعره الطويل، كما تظهر سيدة -اعتبرها البعض معبودة أو زوجة المتوفى- تزين جيدها بمجموعة من العقود (Al- Ansari, 2010: 339)، كلٌ منها عبارة عن صف من الخرز الذي تم نظمه في خيط رفيع. وقد افترضت «الحديثي» أنهما عقدان

٩٠٠م. وهذه الرسوم هي عبارة عن أشكال حيوانية وآدمية رسمت بصبغ أحمر من مادة الهيماتيت المأخوذة من أكسيدات الحديد الطبيعية وهي تشبه الدم، أو من العصارة الحمراء لشجرة الخزم (دم الأخوين) التي تنبت بأعداد طيبة في هذا الجبل. وتقع بوابة الكهف نحو الجهة الغربية، وهو محمي من أشعة الشمس إلا في ساعة الغروب، فإنها تصل إلى عمق الغار، ولا سيما الجهة الجنوبية من مدخل الكهف.

أحدهما عبارة عن حبات كبيرة من اللؤلؤ (الحديثي، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ، ٥٣)، علاوة على صدرية/ قلادة هلالية الشكل، وهذا النوع من القلائد عُثر على نماذج له في بعض المواقع الأثرية بالمملكة؛ فمن قرية بتيماء كشف الفريق السعودي الألماني عن قلادة من العاج ذات شكل هلالي، حز ظهرها بتصميم معقد (إيخمان وآخرون، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م: ٧٢).

ويتدلى من أذنها اليسرى قرط، مع إضافة ما يشبه التاج أعلى الرأس وهو مزخرف (الحديثي، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ: ٥٣) على شكل نباتي بخمس أوراق متجاورة، وهذا التاج يشبه ما تم تصويره على اللوح النذري من عهد ملك أَوْسَان يصدق إل فرعم شرح عت (عبد الباسط، ٢٠١٢م: ٩٩، ١٨٢)؛ حيث صور الفنان على رأس الحيوان الخرافي العلوي ما يشبه التاج (ذو الحواف المسننة- المثلثة) على شكل نباتي بستة أوراق متجاورة (باسلامة، ٢٠١١م: ١٩٥).

وهذا الأخير يشبه ما ظهر على قطعة رخامية محفوظة بمتحف عتق (ATM 162)، كما يشبه التاج البرونزي الصغير المحفوظ بمتحف صنعاء الوطني (باعليان، ٢٠٠٧م: ١٠٤- ١٠٥). وتوجد على يمين اللوحة فتاة سمراء، يحيط بعنقها طوق (الحديثي، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ: ٥٣).

الدراسة التحليلية:

يتبين من خلال الوصف السابق للوحات المختارة لدراسة الحُليّ المصورة في الفنون الصخرية والرسوم الجدارية، أنَّ هناك تنوعاً ملحوظاً في هذا الجانب، سواء ما يخصّ أشكالها أو دورها الوظيفي أو مادة صناعتها، وهو يدل دون أدنى شك على ما وصل إليه إنسان تلك الفترات الزمنية الموغلة في القدم من تقدم حضاري وثقافي وفني. وقد أظهرت تلك الفنون معرفة القدماء في مناطق المملكة العربية السعودية أنواع شتى من الحلي والزينة، على النحو التالي:

١-حُلي الرأس:

تُعدّ عملية تغطية الرأس بأغطية مختلفة ومتنوعة في بلاد الشرق الأدنى القديم من متطلبات الحياة، وهذه العملية خدمت في المقام الأول تثبيت الشعر إلى جانب حماية الرأس من التأثيرات المناخية الضارة كالشمس الحارقة أو البرد القارس، وفي المقام الثاني استخدمت زينة وإشارة لمكانة وشخصية مرتديها ملكاً كان أو كاهناً أو جندياً ... إلخ (نجم الدين، ٢٠٠٠م: ٢).

وأثبتت الدراسة معرفة السكان القدماء للمنطقة موضوع الدراسة للعديد من أغطية الرأس منذ تلك العصور الموغلة في القدم، واستمر ذلك حتى وقتنا هذا مروراً بما ذكره بليني قائلاً: «كان العرب يتعممون بعمامة أو بأي شيء يتناسب مع شعورهم غير المجزوزة»، ويذكر دوستال أنَّه قد ارتبط بالعرب البدو الاعتمام بعمامة حمراء في أحيان كثيرة (الفاسي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ٣٠٠) .

ومن بين أغطية وزينة الرأس تلك؛ التاج (لوحتان ٤، ١٥)، وكان التاجُ ضمن الحلي؛ حيث أنه حلية لزينة الرأس بجانب كونه رمزاً للسلطان (محمد، ١٩٦٨م: ٣٠)؛ إذ ارتبط لبسه بالعظمة وقوة النفوذ. ولبسه الرجال شأنهم شأن النساء؛ إذ تزينت به المرأة لتضيف إلى جمالها رمزاً يؤكد أنوثتها وجاذبيتها. علاوة على الإكليل/ إكليل الغار (لوحتان ١٤، ١٥)، والخوذة ذات الريش أو ما يمكن تسميته بغطاء الرأس الريشي[١]

(١) اتخذ المصريون القدماء الريشة رمزاً للمعبودة ماعت ربة الصدق والحقيقة والعدالة، كما أنهم اعتادوا على تصوير الزعماء الليبيين وهم يزينون شعورهم بالريش. وقد كانت الريشة من أقدم الرموز التي تم تصويرها في الفنون المصرية القديمة ؛ ومنها لوحة صيد الأسود التي تصور عدداً من الرجال يحملون الأقواس

(لوحات ٢، ٣، ٥، ٧، ٨)، ويعد هذا الغطاء أكثر أغطية الرأس انتشاراً في الفنون الصخرية.

ومن الملاحظ أنَّ تمثيل الرجال بالريش فوق الرؤوس اقترن في أغلب حالاته بمشاهد تصورهم يمسكون الأسلحة المختلفة من عصي ورماح وأقواس السهام والسيوف وغيرها، والتي قد تفسر على أنها قد تُعبِّر عن استعراض للقوة أو النصر على الأعداء، وليس فقط مجرد تعبير عن رقصة طقسية أو احتفال ديني.

وقد اختلفت أعداد الريش بين المناظر وبعضها البعض؛ فمن الرجال من صُوِّر بريشة واحدة كبيرة الحجم (لوحتان ٣، ٥)، ومنهم مَنْ تم تصويره وعلى رأسه ثلاث ريشات، وهي السمة الواضحة في النقوش.

وهذا التفاوت في عدد الريشات يتشابه مع ما هو معروف في فنون عصور ما قبل التاريخ والعصر المبكر بمصر القديمة، وإن ظهرت الريشتان أيضاً -على عكس ما توافر من معلومات لدينا عن عدم ظهورهما في النقوش الصخرية بالمملكة العربية السعودية- علاوة على أنَّ زيادة العدد في النقوش المصرية عن ريشتين كان نادراً (عطا الله، ٢٠٠٦م: ٢).

وهناك أيضاً الغطاء الذي يبدو كأسنان المشط (لوحة ١). إلى جانب هذا هناك زينة الأذن ممثلة في الأقراط التي ظهرت في الرسوم النسائية (لوحتان ٦، ١٥)، واستمر ظهورها فيما بعد على بعض التماثيل والعملات.

أما الأقنعة (لوحتان ١١، ١٣) التي ظهرت في تلك الفنون الصخرية، فهناك مَنْ يرى أنها تستخدم شراكاً لصيد الحيوانات، وهو تفسير ضعيف -كما يرى الخثعمي- لأن الحيوان الذي يخاف الإنسان سيهرب منه عند رؤيته سواء كان هذا الإنسان مقنعاً أو غير مقنع، ولذا فمن المحتمل أنْ يكون هذا القناع عبارة عن خوذات لحماية الرأس أو يكون له ارتباط ببعض العقائد الدينية (الخثعمي، ١٤٢٦هـ: ١٧٨).

٢-حُلي الرقبة والصدر:

تعددت الحلي المستخدمة زينةً للجيد والصدر، ولعل أهمها العقود وهي أشهر الحلي التي تزين بها المرأة جيدها، وأبسطها في الصناعة أحياناً، وتعتمد في تقنيتها على نظم الخرز في خيط من شعر الحيوان أو سلك.

إلى جانب ذلك هناك القلائد (الدلايات) والصدريات، وقد ظهرت هذه الأنواع من الزينة بوضوح في الفنون الصخرية ذات الحجم الطبيعي من جبة (لوحة ٤) وكذلك في الرسوم الجدارية (لوحة ١٥).

٣-حُلي الخَصْر والأطراف:

لم يكتف العربي القديم بزينة الرأس والجيد والصدر فقط؛ بل قام باستخدام أدوات أخرى لتزيين أذرعه وأقدامه وخَصْره على حد السواء. فيبدو أنه كان حريصاً على استخدام الأساور عند معصمه (لوحات ١٠، ١١، ١٢، ١٤)؛ ليس هذا فحسب، ولكن استخدمها كذلك على العضد وهو النوع الذي يطلق عليه المعاضد (لوحة ١٠)، وجعل من الخلاخيل/ الحجول زينة لأقدامه (لوحات ٤، ٥، ٩، ١٠)، ومن الأحزمة زينة لخَصْره (لوحات ٣، ٤، ٥، ٦).

وهذه الأخيرة تعد من أقدم أنواع الحلي ظهوراً في الفنون الصخرية.

وجدير بالذكر الإشارة هنا إلى رسم لآدمي (لوحة ١٦) من رسوم وادي ضم الصخرية، يوجد بالموقع رقم ٥ (على الصخرة ١)، يتميز بأنَّه مزود بشرائط تزيينية مؤشرة على الصدر، عبارة عن ثلاثة خطوط رئيسة

والحراب وعصي الرماية وحولهم حيوانات كثيرة للصيد ويزينون شعورهم بالريش، ويرتدون كيس العورة ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم . كما كان قادة الرومان والإغريق يزينون قبعاتهم بالريش أيضاً.

ومتوازية، تتجه من الكتف الأيسر إلى الأسفل باتجاه الذراع الأيمن، يشطر هذه الخطوط خط صغير مستقيم (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ٧٢، لوحة ٣٦+ ٣٧ب).

ويتشابه هذا الشكل الآدمي مع مثيل له منحوت على نصب جنائزي تم العثور عليه في العلا (لوحة ١٧) يمثل رجلاً واقفاً يبلغ طوله متراً واحداً، تتدلى على صدره قلادة وحبلان ثبت عليهما ما يشبه المخرز. ويزين الخصر خنجراً ذو نصلين يتدلى من حزام عريض، ويتواصل الحبلان والحزام في الجهة الخلفية من التمثال (إربيه، ٢٠١٠م: ١٥٦).

وتنبغي الإشارة إلى أنَّ جميع أنواع الحليّ التي تم استعراضها في النماذج المختارة لهذه الدراسة، ظهرت نماذجُها مصورة كذلك على القطع الأثرية -وما تشمله من دمى وتماثيل ومسلات ونصب جنائزية ولوحات وأفاريز وعملات[1]- أو تمّ الكشف عنها كلُقَى في المواقع الأثرية المختلفة بالمملكة العربية السعودية.

مواد الصناعة:

أقبل السكان الذين عاشوا في المنطقة قديماً على صناعة الحليّ وأدوات الزينة حتى بلغوا فيها مستوى رفيع، وذلك منذ العصور الحجرية؛ حيث تؤرخ بعض الفنون الصخرية موضوع الدراسة والتي ظهرت فيها الحلي بفترة العصر الحجري الحديث (٧٠٠٠- ٥٠٠٠ق.م)، في إشارة واضحة إلى معرفة أناس المنطقة للحلي في فترة سابقة أو على الأقل معاصرة لتلك الفنون، ثم ارتقوا في صناعتها كلما تقدّم الزمن بهم، وهو نتيجة مباشرة لأنّ الطبيعة البشرية جبلت على حب الجمال والتزين منذ قديم الزمن.

أما عن طبيعة المواد التي صُنعت منها تلك الأنواع من الحلي خلال تلك الحقب الزمنية الموغلة في القدم من التاريخ الإنساني؛ فإنه -من خلال ما تم الكشف عنه من لُقَى أثرية متنوعة- يمكن القول أنَّ الإنسان القديم في منطقة الدراسة شأنه شأن غيره في بقية أنحاء العالم خلال تلك الفترة كان يعتمد اعتماداً كلياً على ما تنتجه الطبيعة من مواد خام (حجرية أو عضوية)؛ ومن ذلك الأصداف، وعظام الحيوان وأسنانه وجلده وشعره، والأخشاب، والأحجار، والفخار؛ فقد قام بتسخيرها والإفادة منها فيما يخدم حياته وزينته الشخصية.

ثم تطور بعد ذلك واستخدم الأحجار الكريمة وشبه الكريمة، بالإضافة إلى استخدامه للمعادن كالنحاس والبرونز والفضة والذهب وغيرها، علاوة على الزجاج. ولم يكتف بذلك؛ بل كان يقوم بزخرفتها من أجل زيادة جاذبيتها، فخرجت في أجمل صورة ممكنة.

الخاتمة والنتائج:

تبيَّن من خلال ما تمَّ استعراضه سابقاً من أعمالٍ فنية أنَّ الإنسان في مناطق المملكة العربية السعودية قديماً قد اهتم بشئونه الخاصة وحياته الاجتماعية وزينته الشخصية شأنه شأن غيره في مجتمعات العالم القديم الأخرى.

ويظهر ذلك من خلال حرصه على توثيق وتسجيل الوسائل التي استخدمها في أغراض زينته وجماله؛ بتصويرها في بعض لوحاته الفنية الصخرية منها والجدارية. وبعيداً عمَّا إذا كان قيامه بذلك مقصوداً أم لا؛ فإنَّ هذه الفنون قد عبَّرت عن ذلك، ونجحت في الحفاظ لنا على جانب هام من جوانب الحياة العامة قديماً، ساعد في إضافة معلومات وفَهْم جزء من طبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لإنسان تلك الحقب الزمنية.

---

(١) للمزيد عن ذلك يمكن الرجوع مستقبلاً إلى بحثنا: «الحُليُّ المُصوَّرةُ على القطعِ الأثريةِ المكتشفةِ بالمملكةِ العربيةِ السعوديةِ (نماذج مختارة من فنون ما قبل الإسلام)»، قيد النشر.

أبرزت تلك الفنون -ونماذجها المكتشفة كلقى أثرية- العمق التاريخي للمنطقة، وما حوته من حضارات متتالية سادت ثم بادت.

وقد أظهرت لنا تلك الأعمال الفنية المختلفة أنَّ سكان المنطقة قبل الإسلام، رجالاً ونساءً، أحبّوا الزينة، بكل أنواعها؛ فزينوا رؤوسهم بالتيجان والأكاليل وأغطية الرأس المختلفة، كما زيَّنوا سواعدهم بالأساور والمعاضد المختلفة، وصدورهم بالقلائد والصدريات، وأقدامهم بالخلاخيل، وهذا ما يؤكد على أنَّ البراعة في صنع الحلي هي إرث قديم تداولته الأجيال عبر الأزمان.

كما أشارت الحلي بأنواعها المختلفة -خاصة التاج- إلى الوضع الاجتماعي والمكانة السياسية التي شغلتها النساء آنذاك، مما يؤكد على ما بلغته المرأة في المنطقة من منزلة قبل الإسلام.

*** شكر وتقدير:**

يتقدم الباحث بجزيل الشكر لعمادة البحث العلمي ومركز البحوث بكلية السياحة والآثار- جامعة الملك سعود، على ما قدَّماه من دعم لإنجاز هذا البحث.

قائمة المراجع العربية والأجنبية:

أولاً: المراجع العربية:

إبراهيم، محمد حمدي (١٩٩٤م): الحلي في العراق القديم، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم- جامعة الزقازيق.

إربيه، تارا ستايمر (٢٠١٠م): «ثلاثة نصب جنائزية من الألف الرابع قبل الميلاد»، في كتاب طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية، تحقيق علي بن إبراهيم الغبان وآخرون، ترجمة نعيم بوطانوس وآخرون، باريس، ص١٥٦- ١٥٩.

ألدريد، سيريل (١٩٩٠م): مجوهرات الفراعنة، ترجمة وتحقيق مختار السويفي، القاهرة، ١٩٩٠م.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب (١٩٨٢م): «قرية» الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب (٢٠١٠م): «قرية الفاو»، في كتاب طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية، تحقيق علي بن إبراهيم الغبان وآخرون، ترجمة نعيم بوطانوس وآخرون، باريس، ص٣٠٠- ٣٥٣.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب؛ آل مريح، صالح بن محمد جابر (٢٠٠٣م): نجران منطلق القوافل، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور ٣، الرياض، دار القوافل للنشر والتوزيع.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب؛ يوسف، فرج الله أحمد (٢٠٠٥م): حائل ديرة حاتم، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور ٥، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض.

إيخمان ريكاردو؛ وآخرون (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م): «**تيماء خريف ٢٠٠٥ وربيع ٢٠٠٦**: التقرير الثالث عن المشروع الآثاري السعودي الألماني المشترك»، أطلال ٢١، ص٤٨- ٨٣.

بار، بيتر؛ وآخرون (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م): «التقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م»، أطلال٢ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، الطبعة الثانية، ص٣١- ٥٨.

باسلامة، محمد عبد الله (٢٠١١م): «تماثيل ملوك أَوْسَان: دراسة أثرية فنية مقارنة»، الندوة العلمية «عدن بوابة اليمن الحضارية»، ١٨- ١٩ يناير ٢٠١١م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ص١٨٧- ٢٠٢.

باعليان، محمد عوض منصور (٢٠٠٧م): الملابس في

اليمن القديم: دراسة من خلال التماثيل والآثار، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة عدن.

الجبرين، فيصل بن حمد (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م): الرسوم الصخرية في جبل الكوكب بمنطقة نجران، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية السياحة والآثار- جامعة الملك سعود.

الحديثي، فوزية عبد الله (١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ): الرسوم الجدارية في قرية الفاو؛ دراسة فنية تحليلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود.

خان، مجيد (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م): «دراسة تحليلية للطقوس الدينية القديمة في المنطقة الشمالية من خلال الرسوم الصخرية»، أطلال١٢، ص٧٧- ٨٠.

خان، مجيد (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م): الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية، الرياض.

خان، مجيد (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م): «دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية»، أطلال ١٤، ص٦٥- ٨٢.

خان، مجيد (١٤٢٨هـ): دراسة علم الرسوم الصخرية، الرياض.

الخثعمي، مسفر بن سعد (١٤٢٦هـ): «الرسوم الصخرية في مدينة أبها وضواحيها: دراسة توثيقية لنماذج مختارة منها»، الدارة، العدد الثاني- السنة الحادية والثلاثون، ص ١٥٧ - ٢٠٨.

الخثعمي، مسفر بن سعد (٢٠٠٦م): فن الرسوم الصخرية في منطقة خميس مشيط، دراسة تحليلية للأساليب الفنية، حوليات عين شمس، مجلد ٣٤، ص٢١٧- ٢٥٤.

الخثعمي، مسفر بن سعد (١٤٢٩هـ): موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير- دراسة توثيقية، ج١، أبها والمراكز التابعة لها، أبها/ المملكة العربية السعودية.

الخثعمي، مسفر بن سعد (١٤٢٩هـ): موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير- دراسة توثيقية، ج٢، خميس مشيط، أبها/ المملكة العربية السعودية.

الخثعمي، مسفر بن سعد (١٤٢٩هـ): موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير- دراسة توثيقية، ج٨، تثليث، أبها/ المملكة العربية السعودية.

الخليفة، حسين بن علي؛ وآخرون (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م): آثار منطقة الجوف، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، ج١٣، الرياض.

الذييب، سليمان بن عبد الرحمن (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): منطقة الرياض التاريخ السياسي والحضاري القديم، الرياض.

زارينس، يوريس؛ وآخرون (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م): «التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م»، أطلال٤، ص٩- ٣٤.

الزهراني، عوض بن علي السبالي؛ وآخرون (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م): «تقرير مسح وتوثيق المواقع الأثرية بمنطقة الباحة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م»، أطلال ٢٢، ص١٠٢- ١٠٩.

صالح، مروان بن غازي (٢٠٠٥م): دولة كندة: نشأتها وتطورها وعلاقاتها داخل شبه الجزيرة العربية

وخارجها في عصر ما قبل الإسلام (دراسة تاريخية وحضارية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى.

عبد الباسط، محمود (٢٠١٢م): مملكة أَوْسَان: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار- جامعة القاهرة.

عبد الباسط، محمود (قيد النشر): «الحُلِيُّ المُصوَّرةُ على القطعِ الأثريةِ المكتشفةِ بالمملكةِ العربيةِ السعوديةِ (نماذج مختارة من فنون ما قبل الإسلام).

العبد الجبار، عبد الله بن عبد الرحمن (٢٠١٠م): «الجنس في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية»، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم، العدد الأول- السنة الأولى، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم- جامعة الزقازيق، ص١٧٥- ٢٠٦.

العبد الجبار، عبد الله بن عبد الرحمن؛ القنور، نايف بن علي (٢٠١٣م): «اللباس في عصور ما قبل التاريخ في شمالي وشمال غربي الجزيرة العربية من خلال الرسوم الصخرية»، أدوماتو ٢٨، ص١٧- ٣٤.

عبد اللطيف، إيلانيت هاني (٢٠٠٤م): الحلي والمجوهرات البيزنطية من مقبرة خربة ياجوز، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية.

عبد النعيم، محمد (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م): آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الرحيم محمد خبير، الرياض.

عطا الله، مصطفى (٢٠٠٦م): «هيئات الرجال والنساء غير المألوفة على اثار عصور ما قبل التاريخ والعصر المبكر في مصر»، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب (نسخة إلكترونية)، العدد السادس، القاهرة.

الفاسي، هتون أجواد (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م): الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض.

القنور، نايف بن علي بن محمد (٢٠٠٨م): الرسوم الصخرية في سلسلة جبال ثهلان بمحافظة الدوادمي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية السياحة والآثار- جامعة الملك سعود.

الكباوي، عبد الرحمن؛ وآخرون (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م): «تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية للعام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م»، أطلال١٠، ص١٠١- ١١٤.

مجموعة مؤلفين ١ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م): «التماثيل والمصنوعات الحجرية والرسوم»، في موسوعة: الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، تحقيق د. سعد العبد لله الصويان، المجلد الأول «الآثار»، ط١، الرياض، ص٣٠٧- ٣٣٠.

مجموعة مؤلفين ٢ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م): «الزجاج والحلي»، في موسوعة: الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، مجموعة من المؤلفين، تحقيق د. سعد العبد لله الصويان، المجلد الأول «الآثار»، ط١، الرياض، ص٣٣١- ٣٦٢.

محمد، نبيلة محمد (١٩٦٨م): الحلي في مصر القديمة؛ موادها وصياغتها والغرض منها حتى نهاية عهد الدولة الوسطى، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية.

نجم الدين، محسن محمد (٢٠٠٠م): غطاء الرأس في بلاد النهرين وجيرانها منذ فجر التاريخ حتى العصر الآشوري الحديث كمصدر من مصادر التأريخ، رسالة

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Livingstone, A. etal (1405 A.H\ 1985 A.D): «Epigraphic survey (1404 A.H\ 1984 A.D)», Atlal 9, pp.128- 44.

Ogden, J. M. (1990): Gold jewellery in Ptolemaic, Roman and Byzantine Egypt, Durham University.

Petrie, F. (1927): Objects of daily use, London.

Zarins, J. etal (1401 A.H\ 1981 A.D): «The second preliminary report on the Southwestern province», Atlal 5, pp.9- 42.

ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار- جامعة القاهرة.

Abdul Nayeem, M. (2000), The rock art of Arabia; «Saudi Arabia, Oman, Qatar, The Emirates & Yemen», Haydarabad- India.

Almasri, E. etal (2012), «Nabataean jewellery and accessories», ANES 49, pp. 150- 75.

Al- Ansari, A. (2010): «Qaryat al- Faw», in Roads of Arabia, Musée du Louvre, Paris, pp. 310- 63.

Khan, M. (1428 A.H/ 2007 A.D): Rock art studies; How to study rock art, Riyadh.

اللوحات

لوحة (١): أشكال آدمية بأغطية رأس كالمشط، من موقع سكاكا (الخليفة وآخرون، ١٤٢٣هـــ/ ٢٠٠٣م).

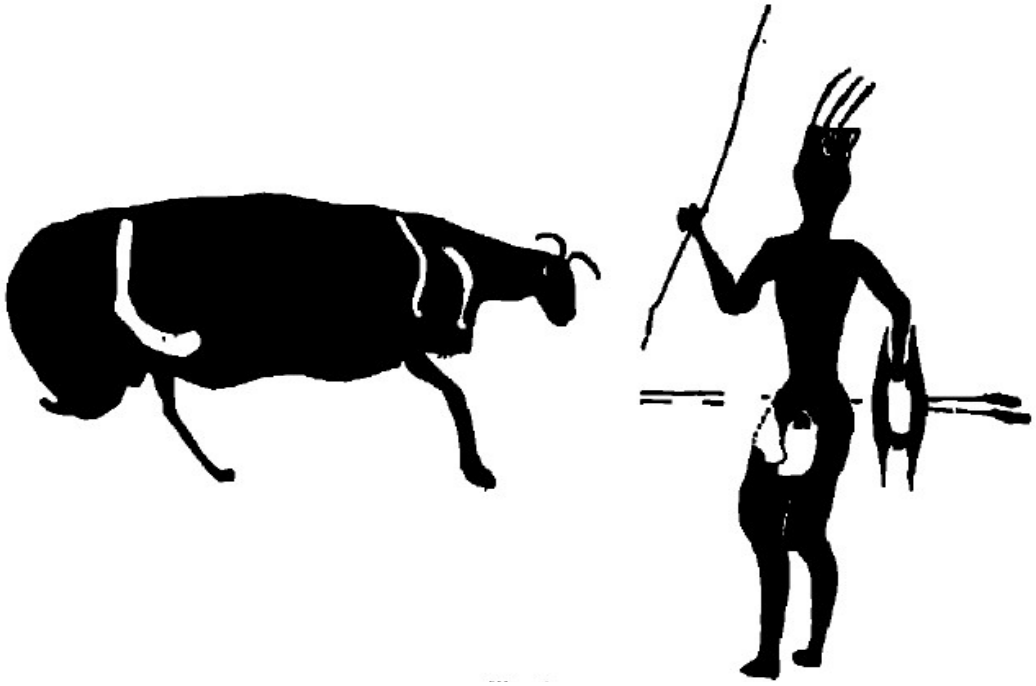

لوحة (٢): منظر لآدمي يرتدي غطاء رأس ذو ثلاث ريشات. (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٨٤).

لوحة (٣): مشهد قتال بين اثنين يلبسان قبعات غريبة، من جبل قارا (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٨٤).

لوحة (٤): الملك (؟) لدى سكان جبة، يرتدي تاجاً وقلادة. (موقع الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني على شبكة الإنترنت؛ العبد الجبار والقنور، ٢٠١٣م: ٢٠).

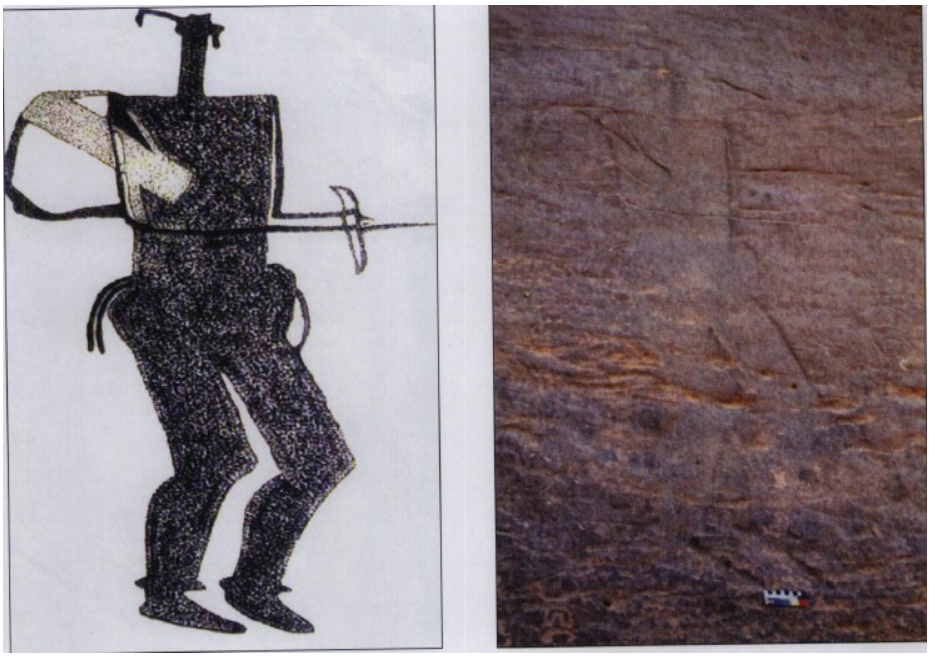

لوحة (٥): آدمي بأسلوب واقعي من جبة، يرتدي خلخالين وحزاماً وقبعة ذات زوائد (العبد الجبار والقنور، ٢٠١٣م: ١٩).

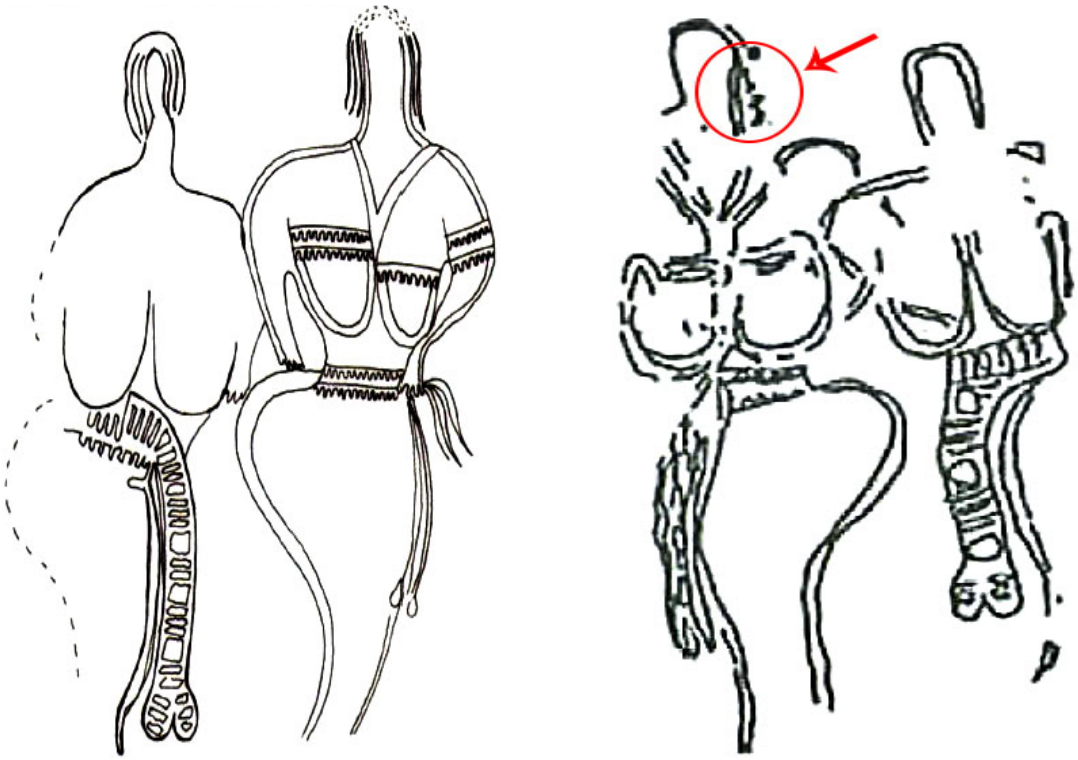

لوحة (٦): امراتان بالحجم الطبيعي من جبة، ترتديان احزمة وأقراط وقلادة (العبد الجبار والقنور، ٢٠١٣م: ١٩؛ خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ٨٣ب).

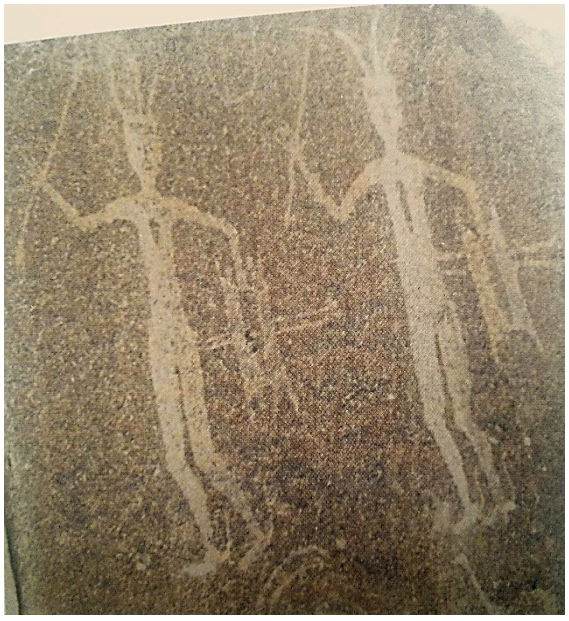

لوحة (٧): فارسان من موقع الزبران يرتديان التاج. (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٢: ٥١).

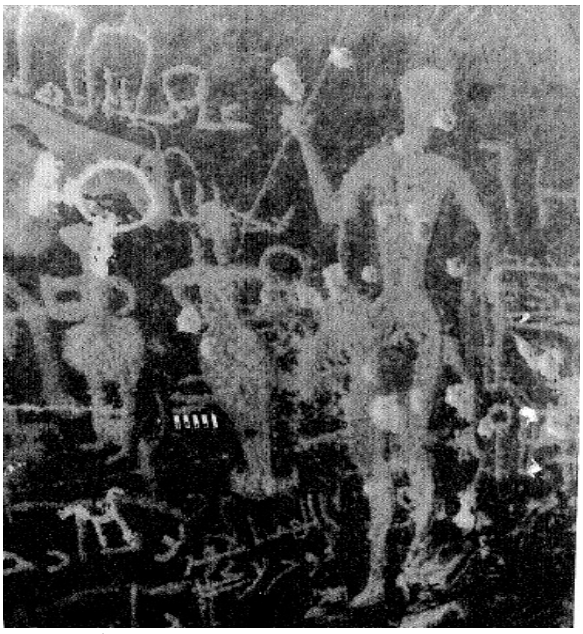

لوحة (٨): آدمي بحجم كبير يرتدي تاجاً ذو ثلاث ريشات (عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢٨٦).

لوحة (٩): رجل وامرأة ترتدي خلخالين وأساور (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٨: ٥٠).

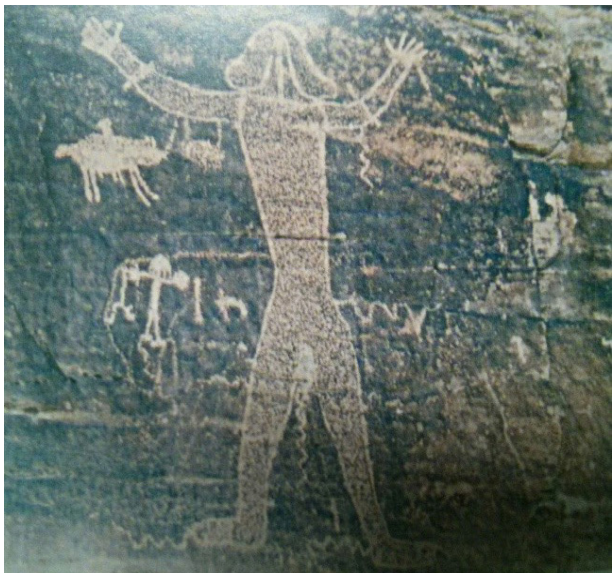

لوحة (١٠): رجل كبير الحجم يرتدي خلخالين (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٨: ٥٢).

لوحة (١١): أشكال عودية آدمية مقنعة (الخثعمي، ١٤٢٩هـ ج٢: ٥١).

لوحة (١٢): رسوم ملونة من كهف الهرية في جبل شدا لأشخاص يتزينون بالأساور والأطواق والأحزمة.

http://albahatoday.cc/articles.php?action=show&id=597

لوحة (١٣): شكل ملون لآدمي مقنع http://albahatoday.cc/articles.php?action=show&id=597

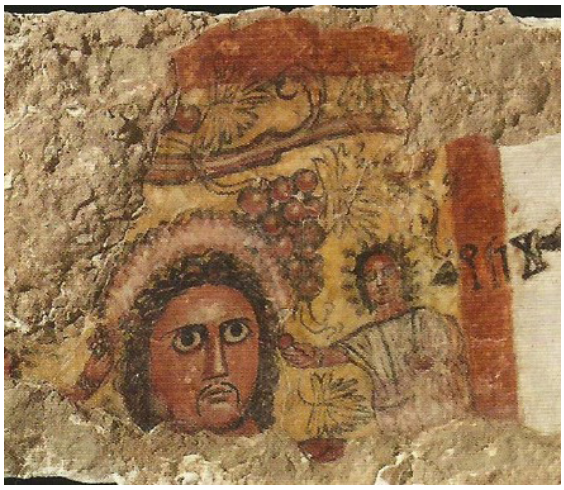

لوحة (١٤): رجل ذي شعر ممـوج، يرتدي إكليل الغار (الأنصاري، ١٩٨٢م؛ الحديثي، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ: ١٢٤، ١٩٠، ١٩١).

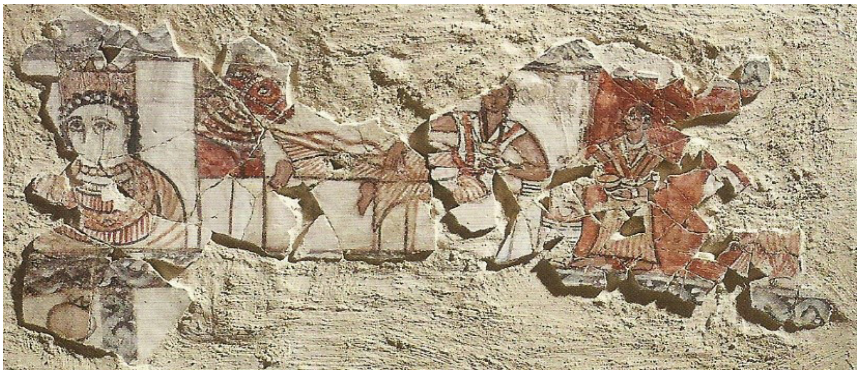

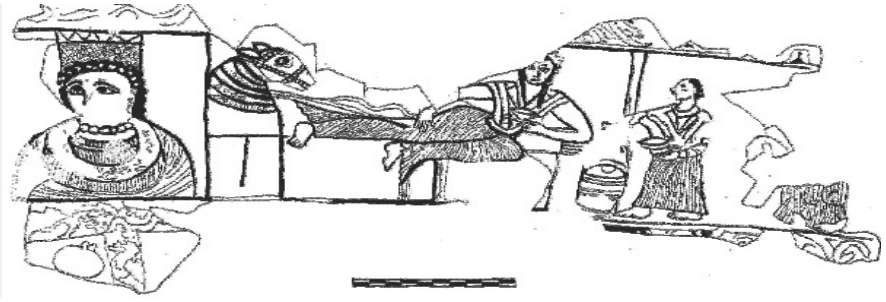

لوحة (١٥): مأدبة طعام أو مشهد تذكاري من الفاو، تظهر به التيجان والعقود والقلائد. (الحديثي، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ ١٦٠، ١٦١).

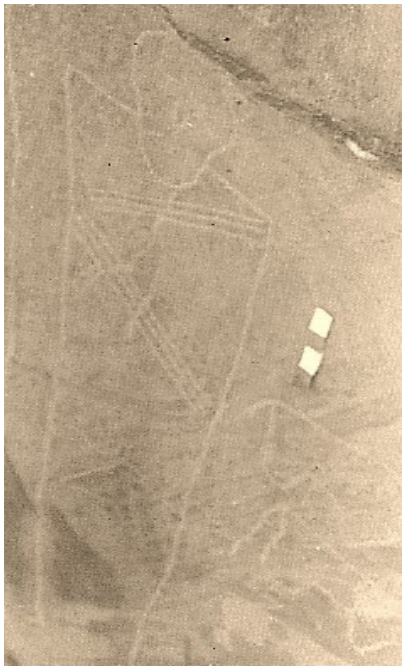

لوحة (١٦): شكل آدمي مزود بشرائط تزيينية مؤشرة على الصدر . (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: لوحة ٣٦+ ٣٧ب)

لوحة (١٧): نصب جنائزي من العلا، مزين بقلادة وشريطين على الصدر، وحزام على الخصر (إربيه، ٢٠١٠م: ١٥٦).